التقابل التركيبي بين السريانية والعربية
في إنجيل متّى
دراسة لسانية مقارنة

أ.م.د.عدي حسين علي(*)

الملخص:

اهتمت الدراسة بكشف مواطن الضعف والقوة في التركيب النحوي بين اللغة السريانية واللغة العربية، وهاتان اللغتان مصنفتان ضمن أرومة لغوية واحدة، وسنبين مدى التطابق والاختلاف والتأصيل للتركيب الفعلي والتركيب الاسمي ضمن محددات الجملة، وقد تناولنا إنجيل متّى أنموذجاً لما تتمتّع به هذه المدونة التاريخية من علاقات تركيبية سيتمّ تحليلها بأدوات اللسانيات المقارنة وبمنهج وصفي تحليلي تاريخي. فتقدّمنا بلمحة ميسّرة عن أهمية العمل في اللسانيات المقارنة، وتوصيف اللغة السريانية ومدى ارتباطها باللغة العربية، ومدى أهمّية اللسانيات المقارنة في الوقوف على نتائج تحليلية توصِل الباحثين والمتخصّصين إلى تفسير الظواهر التركيبية تفسيراً علمياً دقيقاً، إذ رصد المطلب الأول آلية الفعل في الأداء التركيبي بعلاقات تجاورية وذاتية تكمن في قدرته على التعدي واللزوم والتعلق ضمن مكونات الجملة السريانية والعربية، أما المطلب الثاني فقد عرّجنا فيه على الاسم وما تدور حوله من إشكالات تركيبية تمثلت في تطّوره من حيث العمل والجمود

(*) الجامعة المستنصرية/ كلية التربية.

وأداؤه في نظـم الجمـل ودلالاتهـا، وقـد توصـل البحـث إلى نتائج يأمـل الباحث أن تكـون رافدةً للبحث اللساني بعضاً من الإضافات التي ستخدم الباحثين في المجال اللســاني، وأنّه سيكون بمثابة نقلة نوعية في مجال اللسانيات المقارنة التي ظلت رهينة المنهج التاريخي في توصيف الحالة اللغوية على مدى عقود من الزمن.

الكلمات المفتاحية:(لسانيات، تاريخي، مقارن، تركيب، عربي، سرياني)

تقدمة:

اتجهت الدراســات اللســانية المقارنة مؤخراً إلى الكشف عن تفســير الظواهر اللغوية المختلفة، في محاولة لتفســير تلك الظواهر والوقوف على إبراز الجوانب المعرفية للتفريق بين اللغة وشــقيقاتها، متخــذةً من هذا المنهج ســبيلاً للكشــف عن دور التركيب والدلالة في ضبط المعاني وتفسيرها تفسيراً علمياً، بعيداً عن التنظــير والتخمين والفرضيات، فقــد ابتعد المهتمون بهذا المنهــج في الآونة الأخيرة عــن جملة من المفاهيم التــي ملأت مؤلفات أرباب اللســانيات المقارنة في البحث عن اللغة الأمّ واللغة الأقــدم تاريخياً لتقديســها والتفريــق بين اللغات ذات الأرومــة، وصــار جلياً لــدى المتخصصين أنّ البحــث في هذا المجال لــم يعد مجديــاً ولا ذا نفع علمي يخــدم التحليل اللســاني وغاياته المرجوة، ولاسيّما أنّ كلّ متخصص بلغةٍ ما أو بمنهج معين قــد انفرد بدليل علمــي أو ميتافيزيقي يرجّح فيه ســبق لغة عن أخرى، فالمؤرخون تقريبا يتفقون على أنّ أقدم اللغات الســامية والتــي عدّوها اللغة الأم أو الأقــرب إليها هــي اللغة الأكاديــة[1]، ومن الباحثــين من يــرى أنّ العبرية هي أقــدم اللغات، وأنها لغة الإنســان الأول[2]، واستدل أحبار اليهود على أصالة العبرية بأنّ الله تعالى قد كلّم بها موسى (ع) كمــا جاء في ســفر الخــروج ٦/٣ ، فهي لغة الــرب[3]، أمّا السريانية فقد أخذت نصيباً من ذلك بأنهــا أقدم اللغات ؛ لأنّ أصلهــا يعود إلى آرام بن ســام بن نوح، وأنها لغة مقدّســة وقــد تكلّم بها الربّ مع المســيح وأمــه العذراء مريــم[4]، وكذلك الكثير من اللغات التي اهتمّ جمعٌ من دارســيها في أصالتها وقدمها وقداســتها، كالعربية والآشورية والبابليــة والمندائيــة وغيرها، فكان هذا الأســلوب من البحث واضحاً جلياً في الدراسات المقارنة بدءاً وحتى وقت متأخر.

كان انبثــاق اللســانيات المقارنــة عــلى يد وليم جونــز وأوغســت شــلوتزر مــروراً بدي سوســير وتشومســكي قــد أحــدث نقلــةً نوعيــةً في تعامل اللســاني مع المدونات اللغويــة المختلفة، ليكتمل المنهج نضجاً وتقعيدا، وكانت آلياتُه الكشــفَ عن مواطن الاختلاف والتشابه بين اللغات الشقيقات، وهدفــه تفضيــل لغــة على لغــة أخــرى في القدم والقداســة، هــذا الأمر اتفــق الباحثــون في المجال اللساني المقارن على مغادرته تماماً، وغلق صفحة الحديــث عن اللغــة الأمّ، ومصطلح (الســاميات)

(١)يُنظــر: معجم الحضارات الســامية: ١٦٦، ومقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: ١٠٣، واللسان الأكادي:٣١.

(٢) يُنظر: اللغات والحضارات الشرقية: ٨٤.

(٣)يُنظر: اللغة العبرية (محمد توفيق الصوّاف): ١٧.

(٤)يُنظر: اللمعة الشهية: ١/٧-٨.

الذي أخذ مساحة واسعة في البحث والتنقيب، وهو أمر لا يستحقّ كل هذه الجهود.

وفي بحثنا اليسير هذا سنحاول تسليط الضوء على مجموعة من التراكيب السريانية ومقارنتها بالتراكيب العربية، في محاولة لتفسير بعض الظواهر التركيبية التي ستخدم الباحثين في المجال اللساني التركيبي للوصول إلى نتائج جديدة قد تفكّ لنا الكثير من الشفرات الدلالية التي لجأ الباحثون فيها إلى إعطاء نتائج تخمينية قد تخطئ وقد تصيب، أو أنهم بنوها على قواعد كلاسيكية غير خاضعة لمنهج مُبين، ولا بالتجربة المجردة في تنظيم القاعدة ونتائجها، ومثال على ذلك ما جاء في (معاني النحو) من أنّ (حتّى) على زنة (فَعْلَى) وهي من الحَتّ، وهو الفراغ من الشيء، مثل (شتّى) وهي من الشَّتّ[٥]، وقد تبنّى الدكتور فاضل السامرائي هذا المعنى مضيفاً إليه بعض معاني (الحَتّ) في المعجمات العربية كالاستئصال والإزالة والخلوص، وفرك الشيء اليابس عن الثوب يسمى حَتًّا، وهو نظير التقشير، ولم يذكر شاهداً واحداً على علاقة (حتّى) بالحَتّ، سوى تمثيلات من الجمل الافتراضية مما يتداوله النحويون[٦].

ولو وظّفنا اللسانيات المقارنة في الحصول على المعنى الدقيق لـ(حتّى) لوجدنا تفسيراتٍ لا علاقة لها بما ذُكر آنفاً، كما في السريانية والعبرية، ففي السريانية نجد أنّ حرف الجر (حتى) هو ﺣﺪ: عَدْ[٧]، وفي دارج الحديث ينطق: ﺣﺪﻣﻦ، جاء في إنجيل متّى ١٦/١٥ : {ﺷﻤﻌﻮﻥ ﺑﺮﻳﻪ ﺩﻳﻮﺣﻨﺎ ﺩﻣﻦ ﻟﻌﺒﺪ ﻟﻪ ﻭﻟﻤﻦ ﺗﺒﻌﻮﻥ ﻟﻪ}، وترجمته: (فقال يسوع أ حتّى الآنَ أنتم بغير فهم؟)، فحرف الجر (ﺣﺪﻣﻦ) مأخوذ من الجذر (ﺣﺪﻣ)، وتعني: عَدَّ[٨]، أي: تعدّى الأمر وتجاوزه، فهي منقولة من هذا الفعل، وهذا ما يفسّر قوله تعالى:{سلامٌ هي حتّى مطلعِ الفجر} القدر:٥، أي تجاوز السلام مطلع الفجر، وما حدث في (حتّى) أنها امتداد تاريخي لـ(عدَّ)، فقلبت العينُ حاءً والدالُ تاءً، ولا علاقة لها بالحتّ، ويؤكد ذلك ما ورد في الأكادية أنّ (حتى) الجارّة تُلفظ: adi[٩]، وهي أقرب للفظ السرياني من اللفظ العربي، أمّا في العبرية فلم تختلف اللفظة عمّا جاءت به السريانية، فقد ورد في سفر التكوين ٢٤/٣٢: {יעקב נשאר לבדו, ואדם נאבק איתו עד עלות השחר}، وترجمته: (بَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ)، فحرف الجر עד : عد، هو ذاته في السريانية، إلا أنّ النحاة العبريين قد أضافوا له صفة الربط إلى جانب الجر[١٠]، ولهذا فإنّ قراءة ابن مسعود: لَيَسْجُنَنَّهُ عتّى حين، بلغة هذيل[١١]، هي بقايا من النطق القديم لـ(حتّى)، ولو أنّ الفرّاء رحمه الله علم بذلك لما قال: أموت وفي نفسي شيء من حتى.

لقد سعينا في هذا البحث إلى الكشف عن بعض التراكيب السريانية ومقارنتها بالعربية،

(٥)يُنظر: تهذيب اللغة : ٣/٢٧٣.
(٦)يُنظر: معاني النحو:٣/ ٢٩-٣٢.
(٧)يُنظر: قاموس يعقوب أوجين منّا: ٥٢٧.
(٨)يُنظر: المصدر نفسه: ٥٢٨.
(٩)يُنظر: قواعد اللغة الأكدية: ٥٦.
(١٠)يُنظر: مدخل إلى النحو العبري: ٣٧.
(١١)يُنظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١/٣٤٣.

مستخدمين إنجيل متّى أنموذجاً لهذه التراكيب ؛ والسبب في اختيار متّى أنه أطول الأناجيل الأربعة، وأكثرها سرداً لأقوال المسيح (ع)، كما أنه حلقة الوصل بين العهد القديم والعهد الجديد[١٢]، وأنّ كتابته كانت مبكرةً عن باقي الأناجيل الأخرى، إذ يُعتقد أنّ متّى قد دون إنجيله سنة ٦٠م، أو بعدها بقليل، وقد اختُلِف في لغة تدوين إنجيل متّى، فمن الباحثين من قال إنه دونه بالعبرية ومنهم من قال الآرامية الفلسطينية، ومنهم السريانية، والسريوكلدانية، وأخيراً اليونانية وهي النسخة التي بقيت دون سائر النسخ وترجمت فيما بعد إلى السريانية[١٣].

إنّ الهدف من هذه الدراسة وما ستلحقها من دراسات في الحقل اللساني المقارن هو إيجاد تفسيرات علمية حقيقية لبعض الظواهر التركيبية سواء في اللغة العربية أو اللغة السريانية، وعلى الرغم من طغيان صفة القدم والتأخّر في توصيف الحالة اللغوية ضمن هذا الإطار، إلا أننا سنسعى جاهدين لتقليص مسألة الأرخنة والقدم بين اللغات ؛ لأنّ هذه النتائج لا تغني البحث التركيبي الدلالي في شيء، سوى بعض الملامح اليسيرة، التي تبين ضعف اللغة وقدرة متكلميها على إنجاز الجمل المختلفة في أداء المعنى، وممّا لا شكّ فيه أنّ المعنى هو الأساس المرجعي في توصيف التراكيب وتحليلها، بيد أنّ البحث التركيبي يصعب فيه تمييز الدلالات الدقيقة بين لغةٍ وأخرى، فقد تكون التراكيب بسيطةً في تكوينها، يسيرةً في تعدادها ونظمها كما في السريانية وأخواتها من لغات الشرق الساميات، مقارنةً بالعربية الغنية بالاشتقاق والتصريف، إلا أنّ اللسانيين العرب قد توقفوا عن تفسير الكثير من الظواهر اللغوية وتفكيكها، حتى دخل البحث المقارن ليضيف معرفةً جديدةً ونتائج واقعية، وهذه النتائج قد تأتّت من العلاقات الأخوية بين اللغات، فالوراثة اللغوية لا تأتي من الأم حصراً بل وراثة الشقيقة أيضاً والأبعد منها، كالأسر المتاخمة مع بعضها.

ومن هنا سنحاول مقارنة بعض التراكيب بين اللغتين الشقيقتين، وسننطلق من مبدأ الضعف والقوة في أداء التركيب، سواء في العربية أو السريانية، ولو أننا لاحظنا أنّ عوامل الضعف التركيبي قد بدت واضحةً على اللغة السريانية، على اعتبار أنها من اللغات القديمة تاريخياً، فهي الامتداد الطبيعي للغة الآرامية التي تمتدّ جذورها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد[١٤]، بل وصفها (دوبونت سومر) بأنها تمتدّ إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وعلى الرغم من تأثرها بالأقوام المجاورة إلا أنّها بقيت محافظة على جوهرها[١٥] .

تقابل فعلي

يتسم التقابل الفعلي بين العربية والسريانية في قدرة الفعل على الأداء الوظيفي في منحيين، المنحى الأول هو الإسناد، والمنحى الآخر الصيغة، وهذان المواردان قد مثّلا طبيعة تكوين التراكيب والجمل في اللغة السريانية، إذ يُعدّ التعدي واللزوم ضمن تصنيف الفعل في اللغة السريانية، وعند مقارنتها مع العربية نجد أنّ الفعل العربي يتمّ تصنيفه

(١٢)يُنظر: موسوعة أناجيل العهد الجديد: ١/٥-٦.
(١٣)يُنظر: المصدر نفسه: ١/١٧-١٩.
(١٤)يُنظر: آرامية العهد القديم: ١٣.
(١٥)يُنظر: الآراميون: ١٠٠.

من حيث التعدّي واللزوم عن طريق قدرته على نصب مفعول به بذاته، دون اللجوء إلى حرف الجرّ كما يحدث مع الفعل اللازم، أمّا في السريانية فإنّ الصيغة كفيلةٌ بجعل الفعل متعدياً أو لازماً، سواء كان متعدياً في الجملة أو لازماً، أي: يكون الفعل ذاته لازماً مرة ومتعدّياً مرة أخرى، ويمكن تمييزه عن طريق الحركات وليس التركيب كما في العربية، فالفعل المتعدي الماضي نجد على عينه الفتوح، مثل: ܦܠܚ، وعلى مضارعه الزقاف، مثل: ܢܦܠܚ، فإذا أردت تحويل الفعل الماضي إلى لازم جعلت عينه ممالة بالرباص، مثل: ܦܠܶܚ ، والمضارع تستبدل بالزقاف الفتاحَ في عين الفعل، فتصير: ܢܦܠܶܚ[١٦]، وهذا التنظير لا ينطبق كثيراً على النصوص السريانية ؛ لأنّ الفعل في اللغة السريانية لا يتعدّى إلا بحرف الجرّ أو أن يكون المفعول به ضميراً متّصلاً، فهو فعل ضعيف بالتركيب يستعين غالباً بلام الملكية، وقد وصفها النحويون السريان بأنها لام المفعول به، أي: تدخل على المفعول به سواء كان الفعل لازماً أو متعدّياً، أمّا إذا كان متعدياً لمفعولين فوجب دخول اللام على المفعول الأول[١٧]، وهذا يمثّل ضعفاً في الفعل السرياني في إمكانية تعدّيه إلى المفعول، ومن أمثلته ما جاء في إنجيل متّى ١/ ٢ :{ܗܘ ܕܝܠܕ ܠܐܒܪܗܡ ܐܒܪܗܡ ܝܠܕ ܠܐܝܣܚܩ ܘܐܝܣܚܩ ܝܠܕ ܠܝܥܩܘܒ ܘܝܥܩܘܒ ܝܠܕ ܠܝܗܘܕܐ ܘܐܚܘܗܝ}، وترجمته: إِبْراهِيمُ وَلَدَ إِسْحاقَ. وَإِسْحاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ، إذ ورد المفعول به ܠܐܒܪܗܡ للفعل المتعدّي ܝܠܕ ، وعلى الرغم من أنّ طبيعة الفعل ܝܠܕ (وَلَدَ) هو التعدّي من دون زيادة إلا أنّ همزة التعدية قد دخلت عليه (ܐ) لتؤكّد تعديته، وأنه احتاج إلى أحد حروف (ܠܡܕ) ليصل إلى المفعول به، وهذا التركيب يبين ضعف الفعل السرياني في تمكنه من تعلق الأسماء به، سواء أكان ذلك على مستوى المفعول به أم المفاعيل الأخرى، ومثاله، جاء في إنجيل متى ٧/ ١١: {ܐܢ ܗܟܝ ܐܢܬܘܢ ܕܝܕܥܝܢ ܠܡܬܠ ܛܒ ܠܒܢܝܟܘܢ ܐܦ ܐܒܘܟܘܢ ܕܒܫܡܝܐ ܢܬܠ ܛܒ ܠܕܫܐܠܝܗܘܢ ܠܗܘܢ ܕܒܥܘ ܡܢܗ}، وترجمته: فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ، فقد ورد الفعل ܒܥܐ، وهو متعدٍ إلى مفعولين فاحتاج المفعول الثاني إلى اللام ܠܗܘܢ؛ لعدم قدرة الفعل على التعلق بمفعولين صريحين، بخلاف العربية التي وصل تعلّق أفعالها إلى ثلاثة مفاعيل من دون الاحتياج إلى حرف جرّ يعينها على ذلك.

إنّ ما أسميناه بضعف الفعل جعل منه عرضةً للتأخّر في التعلّق حتى وإن كان حقه التقديم، سواء كان هذا التقديم بقصد أو من دون قصد، فقد يحتاج المتكلم إلى التلاعب في تغيير المواضع لغاية دلالية أو بلاغية، على ألا يؤثر ذلك في إضعاف النظم وتنسيقه، ومثال على ذلك في اللغة السريانية أن الفعل في صلة الموصول قد يتأخر على متعلقه من دون قصد تركيبي، سوى أنّ المتقدّم قد ارتبط

(١٦)يُنظر: اللغة السريانية (منير الشعراوي): ١٠٨.
(١٧)يُنظر: الأصول الابتدائية في اللغة السريانية: ٦٨-٦٩.

بمشار إليه سابق يعود عليه، ومثال ذلك في إنجيل متّى ١/ ١٦: {ܝܥܩܘܒ ܗܘ ܝܠܕ ܠܝܘܣܦ ܒܥܠܗ ܕܡܪܝܡ ܕܡܢܗ ܐܬܝܠܕ ܝܫܘܥ ܗܘ ܕܡܬܩܪܐ ܡܫܝܚܐ}، وترجمته: وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ وَيُدْعَى الْمَسِيحَ، فجملة صلة الموصول ܗܘ ܕܡܬܩܪܐ ܡܫܝܚܐ قد تقدم الجار والمجرور ܠܗ على الفعل ܐܬܝܠܕ وكان حقّه التأخير ليس على الفعل فحسب، بل على الفاعل والمفعول به أيضاً[١٨]، والتقديم الحاصل في شبه الجملة ليس له علاقة بتقديم العناية والاهتمام ؛ لأنّ المرأة المذكورة الوحيدة في مطلع إنجيل متّى ولها علاقة بولادة المسيح (ع) هي مريم العذراء (ع)، وإنما تقدم المتعلق لضعف الفعل على أداء رتبته، وسبب هذا الضعف أنّ اللغات السامية المتقدمة لم تكن تمتلك جملاً فعلية، فنظام الجملة لديها هو الابتداء بالاسم الذي يطلق عليه الفاعل، ثم الفعل ثم متعلقات الجملة، كما في الأكادية والبابلية والآشورية[١٩]، وما حصل من تقديم هو عدم قدرة الفعل على التصدّر في جميع أحوال الجملة الفعلية، فتراه في النصوص السريانية والآرامية يتأخر عن فاعله أو متعلق به في أحوال كثيرة.

ومن التقابل الفعلي ما جاء في بناء المبني للمجهول في اللغة السريانية، إذ أنّ صيغة المبني للمجهول تختلف في بنائها عن صيغته في العربية، وهذا الاختلاف يكمن في منحيين، الأول أنّ بناء الفعل المبني للمجهول في العربية يتمّ عن طريق التغيير المعروف في صيغة الفعل الثلاثي المجرّد مثل (ضُرِبَ)، والمزيد مثل: (أُضرِب، وضُرِّبَ، وضورِبَ، واضطُرِبَ، واستُضرِبَ) وغيرها من الأفعال، وكذا الحال بالنسبة للمضارع فيكون (يُفعَل، ويُفعَّل، ويُستَفعَل)، وهلمّ جراً، وهذا التغيير يتمّ من دون اللجوء إلى إضافة حرف زائد أو أكثر، أمّا المنحى الآخر فإنّ السريانية يُبنى فيها الفعل للمجهول عن طريق زيادة حرفين يوضعان في بداية الفعل هما (ܐ،ܬ) الأولف والتاو، مع إضافة الرباص إلى ما قبل آخر الفعل، فالفعل ܦܠܓ ، عند بنائه للمجهول يصير ܐܬܦܠܓ[٢٠]، وممّا ورد في إنجيل متّى ١٥/ ٢٨ :{ܗܫܬ ܐܡܪ ܠܗ ܝܫܘܥ ܐܡܝܢ ܐܡܪ ܐܢܐ ܠܟ ܐܡܬ ܝܘܡܬ ܗܝܡܢܘܬܟ ܐܝܟ ܕܨܒܝܬ ܢܗܘܐ ܠܟ ܐܬܬܐܡܪ ܠܗ ܡܢ ܗܝ ܫܥܬܐ ܐܬܪܦܐ ܒܪܬܗ}، وترجمته: حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ». فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ، فالفعل ܐܬܪܦܐ جاء على صيغة المبني للمجهول من الفعل الماضي ܪܦܐ شُفِيَ، فدخل عليه الأولف والتاو مع استبدال الرباص بالفتاح، وكذلك جاء الفعل ܐܬܬܐܡܪ ليدلّ على صيغة المبني للمجهول في متّى ٨/ ١٧ :{ܕܐܬܡܠܝ ܡܐܡܪܐ ܕܐܬܐܡܪ ܥܠ ܝܫܥܝܐ ܢܒܝܐ ܕܐܡܪ ܗܘ ܢܣܒ ܚܠܫܝܢܢ ܘܒܟܝܢܢ ܢܫܩܠ ܠܗ}، وترجمته: لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا»، فالفعل (قِيل) بُني للمجهول بصيغة

(١٨)يُنظر: المنهاج في النحو والمعاني عند السريان: ١٩٣.
(١٩)يُنظر: قواعد اللغة الأكدية: ٦٠.
(٢٠)يُنظر: النكهة البهية في قواعد ونحو اللغة السريانية: ٩٩-١٠٠.

(ܐܫܬܩܠ)، وقد تعـدّى الفعل بحرف الجر الباء بعبـارة (بأشـعياء)، غير أنّها جـاءت على صيغة مغايرة للعربية تماماً، فلو تتبعنا النصّ السرياني لوجدنـا أنّ لفظـة ܒܐܫܥܝܐأشـعياء لـم يدخلها حرف الجـر مباشرةً، بل دخل على لفظة سـابقة لها وهي ܝܕܐ ، وترجمتها الحرفية (بِيَد)، أي: بيد أشـعياء، وهذا إن دلّ عـلى شيء فهو يدلّ على أحد أمريـن، إمّا أنّ حـرف الجر ضعيف غير قادر على الدخول المبـاشر على الأسـماء، أو أنّ عبارة (ܒܝܕ)، تعني حقّ أي بحقّ أشعياء، فاستعير بهذه اللفظة عن المعنى الحقيقي.

ومـن المضارع المبنـي للمجهول جاء في إنجيل متّـى ٢٧/ ٥٨:{ܗܘ ܐܙܠ ܗܠܝܢ ܠܘܬ ܦܝܠܛܘܣ ܘܒܥܐ ܦܓܪܐ ܕܝܫܘܥ ܗܕܝܢ ܦܝܠܛܘܣ ܐܡܪ ܕܢܬܝܗܒ ܠܗ}، وترجمتـه: فَهذَا تَقَـدَّمَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَـدَ يَسُـوعَ. فَأَمَـرَ بِيلاَطُسُ حِينَئِـذٍ أَنْ يُعْطَى الْجَسَـدُ، فالفعل المضارع ܢܬܝܗܒ يُعطَى قد جاء بصيغة المبني للمجهول ولكن بتغيير تركيبي وهو حـذف الأولف والبقاء على نـون المضارع، وكذلك في متّـى ٢٦/ ٥٤:{ܐܝܟܢܐ ܕܢܬܡܠܝ ܟܬܒܬܐ ܕܗܟܢܐ ܡܬܬܐ ܕܢܗܘܐ}، وترجمته:َكَيْفَ تُكَمَّلُ الْكُتُـبُ: أَنَّهُ هكَـذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُـونَ؟»، فقد ورد الفعـل المضـارع ܢܬܡܠܝ مبنيـاً للمجهول على زنة (ܢܬܥܒܕ)، وجاءت لفظة الكتب نائباً للفاعل، وقـد حافظ الفعل المضارع على صيغته السريانية المعهودة في كلتا الحالتين للفعل، سواء كان الفعل مزيداً بالهمزة مثل (أعطى)، أو مزيداً بالتضعيف كما في (تُكَمَّل).

ومن مفارقات هذا التركيب والذي يُعدّ ضعفاً في النَّظم التركيبي للسريانية أنّ هذه الصيغة تتشابه مـع صيغة الفعـل الثلاثي المزيد بحرفين بشـتّى صيغه،(انفعـل، افتعل، تفعّل، تفاعـل)، وجميع هـذه الأوزان تـدلّ في السريانيـة عـلى المطاوعـة، بالإضافـة إلى الفعل المبني للمجهـول فإنّ النحاة السريان يصفونه بالفعل المطاوع، وهذه جميعها تركّب بـوزن واحد هو الفعل الثلاثـي المجرّد مع إضافـة الأولف والتـاو[٢١]، جـاء في إنجيـل متّى ٢٢/ ٣٤:{ܗܘ ܕܫܡܥ ܕܨܒܘ ܥܠ ܚܕܐ ܠܗܘܢ ܫܐܠ ܚܕ ܡܢܗܘܢ ܢܣܝܐ ܘܐܡܪ ܠܗ}،وترجمته:

أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا أَنَّهُ أَبْكَمَ الصَّدُّوقِيِّينَ اجْتَمَعُوا مَعًا، فقد ورد الفعل ܐܬܟܢܫ، بالزيادة ذاتها للفعل المبني للمجهول ؛ ليدلّ على المطاوعة، وهذا القصـور في تعداد التصريف يجعل التركيب السرياني قاصراً في أداء الدلالة عن طريق الصيغة كما في العربية، فللمطاوعة تنضوي صيغ مختلفة كالانفعـال والافتعـال والتفعّـل والتفاعل وكذلك المبنـي للمجهول، أمّا في السريانية فالأمر معكوس فالصيغـة الواحـدة انضوت تحتهـا مجموعة من الـدلالات ارتبطـت أولاً بالمطاوعة ثـم اختلفت في البناء للمجهول والمعلوم.

والجديـر بالذكـر أنّ الـوزن (اتْفَعَل) ليس من أوزان العربيـة، إلا أنّه وزن مشـهور في السريانية والعبرية؛ والسـبب في عـدم وجود هـذا الوزن في العربية أنّ قلباً مكانياً قد حصل في الصيغة بتقدّم فاء الفعل على التاء الزائدة، فقد استعملت العبرية الوزنين معاً אשתמזי استمع، وكذلك אֶתְחַדּוּת اتّحد،

(٢١)يُنظر: النكهة البهية في قواعد ونحو اللغة السريانية: ٩٦، واللمعة الشهية: ٣/ ٤٣٥.

فاختـارت العربية تأخير التاء عـلى فاء الفعل[٢٢]، وهذا الوزن السرياني العبري وإن لم يدخل العربية إلا أنه استُعمل في اللهجة المصرية والسورية كثيراً مثل (اتحـرق، واتكتب، واتكـسر)[٢٣]، وقد يكون سـبب هذا التبادل في مواقع الأحرف هو ثقل نطق الأحرف المستعلية بعد صوت التاء المستفلّ، أو أنّ هناك تشـابهاً بين صيغة اسـتفعل وافتعل للفعل الثلاثي المبدوء بسـين، فتوالت الأسباب حتى صار على هذه الصيغة.

ومـن مواطـن الضعـف الفعليـة في اللغـة السريانيـة هـو عـدم اتّصـال الضمـير بالفعـل المـاضي، إذ إنّ هنـاك مواضـع مـن الفعل الماضي في السريانيـة قد انفصل عنه الضمير، سـواء كان الضمـير فاعلاً أم مفعـولاً، والنحـاة السريان قد اختلفـوا في ذلك، فمنهـم من جعـل الفعل اللازم هو الوحيد الذي لا تتصل به الضمائر، مثل: ܡܠܐ ،ܡܠܐ ،ܡܠܐ ،ܡܠܐ ،ܡܠܐ ،ܡܠܐ وهكـذا[٢٤]، ومنهم من أضاف الفعل المضـارع للأفعـال التـي لا يتصل بهـا الضمير، مثـل: ܢܡܠܐ ،ܢܡܠܐ[٢٥]،ولـم تذكر الكثير مـن المصادر السريانيـة هذه الحالة من التركيب، بل جعلـت جميع الأفعال قادرةً على الاتصـال[٢٦]، وهـذه الحالـة من التركيـب الفعلي تُعدّ مبكرة من النظـام التركيبي للسريانية، فعند العودة إلى إنجيل متّى نجد هذه الظاهرة شـائعةً في التراكيب السريانية، جـاء في إنجيل متّى ٦/٦: {ܐܢܬ ܕܟܕ ܨܠܝ ܥܠ ܥܠ ܡܣܟܢ ܒܡܣܟܢ ܕܟ ܘܨܠܝ ܠܐܒܟ ܕܒܣܬܪܐ ܘܐܒܟ ܕܚܙܐ ܒܣܬܪܐ ܢܦܪܥ ܠܟ ܒܓܠܝܐ}، وترجمته: وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَـلِّ إِلَى رَبِّـكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَرَبُّـكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً، فالفعل اللازم ܥܠ (صـلّى) قد جـاء فاعله ضمـيراً منفصـلاً ܐܢܬ ، ويمكـن اتصالـه في السريانيـة الحديثـة بعبارة ܥܠ ܠܡܪ، إلا أنه جاء بهـذا التركيب الذي يمكن عـده تركيباً ابتدائياً في نظـم الجمل والكلام، فلمّا تزل السريانية آنذاك حديثة الانشقاق عن الآرامية باعتبارها لهجة رئيسـة من لهجاتها، وكذلك جاء الضمير المفعول به منفصلاً، وكان حقّه الاتصال، جـاء في إنجيـل متّى٢٢/ ٩:{ܙܠܘ ܠܬܪܥܐ ܕܐܦܝܣ ܘܟܠ ܕܬܫܟܚܘܢ ܢܩܪܘ ܠܟܘܢ ܠܥܪܣܐ}، وترجمتـه:اَذْهَبُوا إِلَى مَفَـارِقِ الطُّرُقِ، وَكُلُّ مَـنْ وَجَدْتُمُوهُ فَادْعُـوهُ إِلَى الْعُرْسِ، فقد ورد الفعـل ܩܪܝ وجدتموهُ متّصلَ الضمير، إلا أنّه في السريانيـة قد انفصل عنـه الضمير ܐܢܘܢ ، وكان حقّه الاتصال، كما أنّ الضمير ܐܢܘܢ هو ضمـير رفع للمخاطـب الجمع (أنتـم)، إذ يصفه النحاة السريان والآراميون بالمسـند إليه[٢٧]،وهذا الخلـط في اسـتعمال الضمير من حيـث الاتصال والانفصـال، وكذلـك الغيبـة والحضـور ينمّ عن ضعف في التركيب السرياني.

(٢٢)يُنظر:التطور النحوي: ٩٢.
(٢٣)يُنظر: الظواهر الصوتية بين العربية والعبرية: ٤٠١.
(٢٤)يُنظـر: الأصـول الابتدائية في اللغـة السريانية: ٥٦-٥٧.
(٢٥)يُنظر: قواعد اللغة السريانية: ٢٢٥.
(٢٦)يُنظر: اللمعة الشهية: ٢/ ٣٠٦.
(٢٧)يُنظـر: مرشـد الطلبـة السريانيـين: ٨٧، والأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية: ١٣٧.

ولم يسلم الفعل المتعدي من هذا التركيب، فقد انفصل الضمير المفعول به عن الفعل، وكان حقّه الاتصال، جاء في إنجيل متّى ٢/٨:{ܐܫܕܪ ܠܗܘܢ ܠܒܝܬ ܠܚܡ ܘܐܡܪ ܐܙܠܘ ܒܥܝܘ ܠܟܪܣܐ ܕܒܪܝܬ ܘܟܕ ܬܫܟܚܘܢ ܗܒܘ ܠܝ ܕܐܦ ܐܢܐ ܐܐܬܐ ܘܐܣܓܕ ܠܗ}، وترجمته: ثمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ، وَقَالَ:«اذْهَبُوا وَافْحَصُوا بِالتَّدْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ. وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي، لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضًا وَأَسْجُدَ لَهُ»، فالفعل ܫܕܪ أرسلهم، فعل متعدٍ وقد جاء الضمير ܗܘܢ منفصلاً عن الفعل، وهذا برأيي يعدّ مرحلةً مبكرة من نضوج التركيب النحوي للغة السريانية.

تقابل اسمي

يزخر هذا المضمار بالكثير من التقابلات التركيبية التي أضافها البحث اللساني المقارن، فلمّا يزل الإسناد الاسمي هو القاعدة الرئيسة في إنشاء الجملة منذ القدم، فالجملة السومرية والأكادية وابنتيها البابلية والآشورية قد اتسمت بهذا الأصل التركيبي، ناهيك عمّا جاءت به الأسر اللغوية الباقية وفي مقدّمتها الهندوأوربية والطورانية، فالعلاقات القائمة بين الاسم ومتعلقاته أرفدتنا بمجموعة من الظواهر التي تحتاج إلى رصد وتفكيك، وتأتي في مقدّمة هذه الظواهر قاعدة الجمود التركيبي للأسماء، ونمثله في ثلاث ظواهر هي الخلط بين التعريف والتنكير، والحالة الواحدة في الجمع، واختفاء المثنّى من السريانية، ففي حالة التعريف والتنكير فإنّ اللفظ السرياني لا يُعرَّف ولا يُنكَّر بذاته، أي: لا توجد فيه أداة تعريف كالألف واللام في العربية، والهيت في العبرية، والأولف في الآرامية[٢٨]، وتجدر الإشارة إلى أنّ أرباب الساميات قد اتفقوا على أنّ السريانية هي لهجة آرامية حديثة، فإذا كانت كذلك فيا تُرى أين ذهبت أداة التعريف في السريانية؟ فالآرامية على مرّ تدوينها قد وثّقت الأولف (ܐ) أداةً لتعريفها، سواء كان الاسم مذكراً أو مؤنثاً، في الإفراد والجمع[٢٩]، والجدير بالإشارة أنّ اللغة الأكدية لم تمتلك أداةً لتعريف الاسم، فهو يُعرَّف بضمير يسبقه، وأمّا تنكيره فإمّا أن يكون بتمييم، أو من دون تمييم[٣٠]، وهنا لدينا معادلة تأصيلية وهي من أين أتى التأثّر في السريانية؟ وهل استطاعت الأكادية أن تؤثر على السريانية متخطّيةً الآرامية وما يجاورها من لغاتٍ ساميّة، أم أنّ السريانية قد استغنت عن أداة التعريف ضمن ناموس تطوري أثّر بها تاريخياً؟ والأرجح أن تكون السريانية قبل تدوينها في القرن الأول الميلادي قد كانت تحتوي على الأولف أداةً للتعريف، فقد صرّح بعض النحاة السريان أنّ الأولف في السريانية توافق الألف واللام في العربية الخاصة بالجنس، ومثاله: ܐܠܗܐ ܘܐܠܗܐ ܛܒܐ، فالاسم ܛܒܐ (الخير) جاء معرّفاً بالأولف وهو اسم جنس في السريانية[٣١]، وعند مراجعة قواعد اللغة السريانية عند النحاة السريان ينكرون أن تكون الأسماء السريانية قد حوت أداةً للتعريف، فاستوى في ذلك الاسم المعرفة

(٢٨)يُنظر: اللمعة الشهية: ٣/٤٠١، والنكهة البهية: ٢٨.

(٢٩)يُنظر: آرامية العهد القديم: ٩٨.

(٣٠)يُنظر: قواعد اللغة الأكدية: ٢٢-٢٣.

(٣١)يُنظر: المنهاج في المعاني والنحو عند السريان: ١٢٢.

والنكـرة، والتمييز بين الاسـمين يتضح من خلال السياق، فمن أمثلته في إنجيل متّى ٩/ ٣٢-٣٣ قوله:{ܟܕ ܕܝܢ ܢܦܩܝܢ ܗܘܘ ܩܪܒܘ ܠܗ ܚܪܫܐ ܕܐܝܬ ܗܘܐ ܒܗ ܫܐܕܐ* ܘܟܕ ܢܦܩ ܫܐܕܐ ܡܠܠ ܚܪܫܐ ܘܐܬܕܡܪܘ ܟܢܫܐ ܘܐܡܪܝܢ ܕܡܡܬܘܡ ܠܐ ܐܬܚܙܝ ܗܟܢܐ ܒܐܝܣܪܝܠ}،وترجمته:وَفِيمَا هُمَا خَارِجَانِ، إِذَا إِنْسَـانٌ أَخْـرَسُ مَجْنُـونٌ قَدَّمُـوهُ إِلَيْهِ*فَلَمَّـا أُخْرِجَ الشَّـيْطَانُ تَكَلَّمَ الأَخْرَسُ، فَتَعَجَّبَ الْجُمُوعُ قَائِلِينَ:«لَـمْ يَظْهَرْ قَطُّ مِثْـلُ هذَا فِي إِسْرَائِيلَ!» ، فقد ورد لفـظ ܚܪܫܐ (أخـرس) نكرةً وهـو مختوم بالألـف في الفقرة (٣٢)، أمّا في الفقرة (٣٣) فقد وردت بالصيغـة ذاتها ܚܪܫܐ (الأخرس) وهي معرفة، مع عدم التغيير في الصيغة في الموردين.

أمّـا ما يتعلق بجمع السـلامة في اللغـة السريانية فقد أصاب هذه الأسماء ما طرأ على السريانية من تغيّر في بناء أسـمائها واضمحـلال الإعراب منها، فجمع السـلامة المذكر يكـون في حالة واحدة وهو اليـاء والنـون، مثـل: ܒܝܫܝܢ، أشرار (شريرين)، وقد تُحـذف النون ويعوّض عنها بالرباص، مثل: ܓܒܪܐ رجال، ܙܕܝܩܐ صالحون[٣٢]، ومثال ذلك في إنجيـل متّـى ١٣/ ٣٩:{ܒܥܠܕܒܒܐ ܕܝܢ ܕܙܪܥ ܐܢܘܢ ܗܘ ܣܛܢܐ ܚܨܕܐ ܕܝܢ ܫܘܠܡܗ ܗܘ ܕܥܠܡܐ ܚܨܘܕܐ ܕܝܢ ܡܠܐܟܐ}، وترجمته: وَالْعَدُوُّ الَّذِي زَرَعَهُ هُوَ إِبْلِيسُ وَالْحَصَادُ هُوَ انْقِضَاءُ الْعَالَمِ وَالْحَصَّادُونَ هُمُ الْمَلاَئِكَةُ، فقد وردت عبارة ܚܨܘܕܐ (الحصادون)، جمعَ مذكر سالماً منتهياً بيـاء الجمـع أو الرباص كمـا في المثال السـابق،

وكذلك جـاء بالياء والنون في إنجيل متّى ١٤/ ٣٥: {ܘܐܫܬܘܕܥܘܗܝ ܐܢܫܐ ܕܐܬܪܐ ܗܘ ܘܫܕܪܘ ܠܟܠܗ ܟܘܪܐ ܕܚܕܪܝܗܘܢ ܘܩܪܒܘ ܠܗ ܟܠܗܘܢ ܐܝܠܝܢ ܕܒܝܫܐܝܬ ܥܒܝܕܝܢ}، وترجمته:فَعَرَفَهُ رِجَالُ ذلِكَ الْمَكَانِ. فَأَرْسَـلُوا إِلَى جَمِيعِ تِلْكَ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ وَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ الْمَرْضَى الحقيقيين، فعبارة: ܥܒܝܕܝܢ (الحقيقيين) قد وردت باليـاء والنون، وهنا نستشفّ أن علامة الجمع هي الياء فقط، أمّا النون فهي لاحقة اسـمية ختامية تلحق الأسـماء لوظيفة دلالية أو صوتية تناظر التنوين والتمييم في اللغات السامية.

ومـن ظواهـر الجمـود في التركيب الاسـمي في اللغة السريانية هو فقدان المثنى في هذه اللغة، فلا توجد ضمائر أو أسـماء إشارة أو أسماء موصولة تدلّ على المثنى، سـوى بعض الأسـماء الصريحة التـي تُعَـدُّ على عـدد الأصابـع، ويكـون تركيبها من اللفـظ مع يوذ ونـون يسـبقهما زلام قصير، ومثاله: ܡܐܬܝܢ، ܟܠܬܝܢ، ܡܨܪܝܢ (مئتـان، كَيلَتـان، مـصر)[٣٣]، ومـن أمثلتـه في إنجيل متّى ٢/ ١٣-١٤:{ܟܕ ܕܝܢ ܐܙܠܘ ܐܬܚܙܝ ܡܠܐܟܐ ܕܡܪܝܐ ܒܚܠܡܐ ܠܝܘܣܦ ܘܐܡܪ ܠܗ ܩܘܡ ܕܒܪ ܠܛܠܝܐ ܘܠܐܡܗ ܘܥܪܘܩ ܠܡܨܪܝܢ ܘܗܘܝ ܬܡܢ ܥܕܡܐ ܕܐܡܪ ܐܢܐ ܠܟ ܥܬܝܕ ܗܘ ܓܝܪ ܗܪܘܕܣ ܠܡܒܥܐ ܠܛܠܝܐ ܠܡܘܒܕܗ* ܗܘ ܕܝܢ ܝܘܣܦ ܩܡ ܕܒܪ ܠܛܠܝܐ ܘܠܐܡܗ ܒܠܠܝܐ ܘܥܪܩ ܠܡܨܪܝܢ}، وترجمتـه: وَبَعْدَمَـا انْصَرَفُوا، إِذَا مَـلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُـفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً:«قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ

(٣٢)يُنظر: اللغة السريانية: ٩١، والنكهة البهية: ١٤٠.

(٣٣)يُنظـر: اللمعـة الشـهية: ١/ ١٠٣، وقواعـد اللغـة السريانية – الصرف: ٤٣.

وَاهْـرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّـى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِـيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ»* فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ، وردت لفظة ܡܨܪ (مصر) في موضعين في النصّ أعلاه، وقد جاءت على صيغة المثنى، ويبدو لي أنّ السـبب في اسـتعمال هذا اللفظ بالمثنى هو تأثر السريانية بالعبرية، فمصر بالعبرية (מצרים مصرايم) ، وهذا الاسم أطلقه العبرانيون على مصر طبقاً للتصنيف الأجنـاسي في سـفر التكويـن ١٠/٦: (وبنو حام كوش ومصرائيم وفـوط وكنعان)، وهذه الصيغة في العبرية تدلّ على المثنى، وقد اقترضت السريانية هذه اللفظـة من العبرية مع تحويـل ميم التمييم إلى نـون، وإنّ السـبب في توصيـف العبرانيـين لمصر بالمثنى فيه إشـارة إلى قسـمي البلاد السفلي والعلـوي، فهي تقسـم عـلى مـصر العليا ومصر السفلى[٣٤].

وتجدر الإشارة إلى أن السبب في ضياع المثنى من السريانية هو أنّ تركيـب المثنى بزيادته المعهودة مشـابه لتركيب جمع المذكر السـالم، فاستعاض بذلك بجعل اللفظـة مفردةً وردفها بلفظ (ܬܪܝܢ، اثنـين)، تأثراً باللغـة الآرامية التي اسـتغنت عن المثنى وعوّضتـه باللفظ المذكـور[٣٥]، ومن أمثلته في إنجيل متّـى ٢١/٢٨:{ܘܐܬܐ ܠܘܬ ܚܕ ܘܐܡܪ ܠܗ ܒܪܝ ܙܠ ܫܒܘ ܗܘܡ ܒܟܪܡܐ ܘܐܥܒܕ ܠܝ ܒܟܪܡܐ ܗܢ ܐܡܪ ܠܐ ܐܙܠ ܘܒܬܪ ܗܘ ܒܬܒ ܘܐܙܠ ܠܘܬ ܬܪܝܢ ܒܢܝ ܐ}، وترجمته: مَاذَا تَظُنُّونَ؟ كَانَ لإِنْسَانٍ ابْنَانِ، فَجَـاءَ إِلَى الأَوَّلِ وَقَالَ: يَا ابْنِي، اذْهَـب الْيَوْمَ اعْمَلْ فِي كَرْمِي، فقـد وردت في النصّ عبارة ܬܪܝܢ ܒܢܝ وتعني (ابنان)، فجاءت لفظة ܒܪ (ابن) مفردةً وأردفت بلفظة ܬܪܝܢ (اثنان) لتدلّ هي على المثنى، بعد ضياع المثنى من السريانية شأنها شأن اللغات الهندوأوربية التي تسـتعمل المفرد والجمع فقط ، إذ تذكـر المصادر أنّ السريان منـذ وقت مبكر قد اندمجـوا اندماجـاً كبيراً مع اليونانيـين والإغريق والفـرس، إذ ترجمـوا لهـم الكثـير مـن المعارف كالأدب والفلسـفة وعلـم الفلك وغيرهـا[٣٦]، أمّام من جهـة اللغة فقد تأثّر السريـان باليونان تأثراً كبيراً وصل إلى حـدّ كتابة النحو السرياني بمنهج يوناني صرف، كما فعل يوسف الأهوازي ويوحنا برزوعبـي وإيليـا برشـينايا[٣٧]، وهـذا الاندماج والاختـلاط الكبير بين المجموعتـين أظهر لنا هذه الظواهـر اللغويـة التي انفـردت بهـا السريانية والآرامية عن شـقيقاتها السـاميات، وليس ببعيد جغرافياً أن تكون الآرامية متأثرةً بالسومرية التي لا تمتلك في قواعدها الاسـم المثنى، مسـتغنيةً عنه بالجمع أو بالمفرد، كما في الهندوأوربيات[٣٨].

ومـن بـين هـذه الظواهـر الاسـمية الإضافـة بـالأداة، إذ يفتقـر التركيب الاسـمي في السريانية إلى قدرتـه على الإضافة المباشرة، فيسـتعين بأداة طارئـة تدخل عـلى المضاف إليه لإتمـام الإضافة، وهـذه الأداة هـي (ܕ)،وهـي إحـدى حـروف

(٣٤)يُنظر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل): ١٤.

(٣٥)يُنظر: الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية: ٢٥.

(٣٦)يُنظر: السريانية – العربية الجذور والامتداد: ٥٧.

(٣٧)يُنظر: فن النحو بين اليونانية والسريانية: ١١-١٨.

(٣٨)يُنظر: قواعد اللغة السومرية: ٥٣.

الـ(ـܕ)[٣٩]، مثالـه: ܒܝܬ ܡܫܝܚܐ باب الرحمـة، ܦܘܪܩܢ ܕܥܠܡܐ مخلّـص العالم، ولا يمكـن حـذف هـذه الدوليـث إلا في حالـة الجزم فيصبح المضـاف والمضاف إليه كالاسـم الواحد، مثـل: ܒܬܠܚܡ بنـات أورشـليم[٤٠]، ومن أمثلته في إنجيـل متّى ١١/١:{ܡܠܟܘܬ ܫܡܝܐ ܕܒܪ ܕܘܝܕ ܒܪ ܐܒܪܗܡ}، وترجمته: وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ، فعبارة: ܒܪ ܕܘܝܕ، قد اسـتعانت بالدولث لأداء الإضافـة، وقد علل الأباتـي جبرائيل قرداحي هذه الإضافة بالأداة بأنّ تركيب ܒܝܬ ܝܘܣܦ أصله: ܒܝܬ ܕܝܠܗ ܕܝܘܣܦ ، أي: أن بيت يوسـف أصلها البيت الذي ليوسـف، وهذا التأويل مردود من حيث المعنـى والتركيب، لأنّ ܒܝܬ في الجملة الأولى نكرةٌ عنـد تجرّدها، تُعـرّف بإضافتها، أمّا في المثـال الثاني فهـي معرفة، أضـف إلى ذلك أنّ ܒܝܬ ܕܝܠܗ ܕܝܘܣܦ, صفة وموصوف وليس هناك إضافة.

نعـم إنّ (ܕ) تشـبه الموصول الاسـمي في اللغة السريانية من حيث الشكل، إلا أنّها تختلف عنه في الوظيفـة والدلالة، فهي في وظيفتها لا تشـترط ما حواه الموصول من اشـتراط، كالجملة التامّة بعده والضمير العائد على المتقدّم واختلال التركيب عند حذفها، فهي بمثابـة الأداة الزائدة تركيبياً وليس معنًى، كمـا في (ذا) في العربية في قوله تعالى:{مَن ذَا الّذي يَشْـفَعُ عِندهُ إلّا بِإذنِـهِ} (البقرة: ٢٥٥)، فيمكـن لهـا أن تكون تركيبيـاً: مَنِ الّذي يَشـفعُ عندهُ، حتّى دخل اسم الإشارة (ذا)، ليكثّف المعنى من الاسـتفهام المحـض إلى معانٍ أخـرى يرومها النصّ، وهذه الزيادة التركيبية لم تقتصر على اسم الإشارة فحسب بل كان للضمير نصيب في ذلك، إذ كان إقحامـه بين الصفة والموصوف عماداً لإخراج التركيـب من صفة وموصوف إلى مبتدأ وخبر، كما في: زيـدٌ الرجلُ، وزيدٌ هو الرجلُ، وهذا الموضع قد تشـابه تماماً مـع دخـول (ܕ) في السريانية لتميّز بـين الإضافة التامّة والإضافة ذات الاسـم الواحد، وهذا التبادل بين الأدوات ووظيفتها قد سـبقتهما إلى ذلك الأكدية التي اسـتعملت (ša) اسـمَ إشارة وضميراً للمذكـر الغائب واسـماً موصولاً بمعنى الـذي[٤١]، وبما أنّ (ܕ) قـد اتخذت وظائف تناظر مـا جاء في الأكدية والعربية فهي أداة مشـتقة من اسـم الإشارة (ܗܕ)، وهذه الإشـارة قد خصّصت العلاقة بـين المضـاف والمضاف إليه، بأن نسـبة المضـاف قد أشـار إليها المتكلّم في هـذه الكلمة أو هذا المشـار إليـه كنوع مـن التوكيـد أو التوثيق، لئلا يفهم المتلقي أن النسـبة إلى غير المشـار إليه، ومن الإشـارات التاريخية لهذه الأداة أنها ما تزال مسـتعملةً في اللهجات العراقية المختلفة، ولاسيّما في بغداد من خلال اسـتعمال الأفعال (داروح، دا أسمع، دا أقرأ)، وغيرها من الأفعال.

(٣٩)يُنظـر: اللغـة السريانيـة: ٨١، والسريانيـة نحوها وصرفها: ٥١.

(٤٠)يُنظر: اللمعة الشهية: ٤٠٨-٤٠٩.

(٤١)يُنظـر: قواعـد اللغة الأكدية: ٢٣، والاسـم الموصول وجملة صلته في اللغة الأكدية: ١٧٧-١٧٩.

نتائج البحث

-تبين من خلال الدراسة والتحليل أنّ الفعل في اللغة السريانية ينتابه الضعف والقصور في قدرته على التعدي بنفسه، وهذا يجعله أشبه بأن يكون تركيباً بدائياً يشبه نواميس التركيب البدائي للغات السامية القديمة، كالأكدية والبابلية والآشورية والفينيقية.

-رصد البحث مدى ضعف الفعل السرياني على اتصاله بضمائر الفاعل، وقياساً بالعربية والعبرية فهو نظام تركيبي بدائي يناظر اللغات ذات المقاطع القصيرة التي تُفرد الفعل عن الضمائر في جميع حالاته.

-إنّ صيغة البناء للمجهول في السريانية تشترك مع أفعال المطاوعة وبعض دلالات المبالغة في صيغة واحدة بإضافة الأولف والتاو إلى الفعل، وهذا يضعف تركيب الفعل في تعدد تصريفاته وأدائه في الجملة السريانية.

-اختفاء علامة التعريف والتنكير في الأسماء السريانية، فإذا كانت اللغة السريانية قد حوت هذا التركيب منذ نشأتها فهي بهذا التوصيف تُعدّ لغةً قاصرة غير قادرة على مواكبة التعاقب التاريخي والتطور في اللغات.

-جمع المذكر السالم جاء بعلامة واحدة وهي اليوذ والنون بخلاف شقيقاتها من اللغات، وهذه دلالة على جمود السريانية التي غادرت الإعراب مبكراً.

-عدم وجود صيغ للمثنى في اللغة السريانية، وهو تأثّر واضح بالآرامية التي تأثرت تباعاً باللغات الآرانية واللاتينية والرومانسية في عهود تآخمها مع اليونان والرومان والحثيين والعيلاميين.

-هناك أدوات تركيبية تدخل على الاسم وغيره تؤدي معاني مختلفة وذات وظائف مختلفة مثل الـ(ܕ)، وتعدّد الوظائف لأداة واحدة يكمن في أنّ هذه الأداة هي متطورة عن لفظة اسمية أو فعلية، وهذا ما حصل مع (حتّى) في العربية التي امتازت بوظائف تركيبية مختلفة.

روافد البحث

-القرآن الكريم

-الكتاب المقدّس العهد العتيق والعهد الجديد

-آرامية العهد القديم قواعد ونصوص – د.يوسف متي قوزي ومحمد كامل روكان – منشورات المجمع العلمي العراقي – بغداد ٢٠٠٦م.

-الآراميون – دوبونت سومر- ترجمة ألبير أبونا – دار الوراق للنشر- ط١ – بغداد ٢٠١٠م.

-الاسم الموصول وجملة صلته في اللغة الأكدية (بحث)- حسنين حيدر عبدالواحد – مجلة آثار الرافدين – كلية الآثار جامعة الموصل – المجلد الأول ٢٠١٢م.

-الأصول الابتدائية في اللغة السريانية – إسحاق أرملة السرياني – مطبعة الآباء اليسوعيين – بيروت ١٩٢٢م.

-الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية – روفائيل بيداويد – منشورات مركز بابل – بيروت ١٩٧٥م.

-التطور النحوي للغة العربية – برجشتراسر- تقديم رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي – ط٤ – القاهرة ٢٠٠٣م.

-تهذيب اللغة - محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)- تحقيق محمد عوض مرعب – دار إحياء التراث العربي – ط١ – بيروت ٢٠٠١م.

-السريانية – العربية الجذور والامتداد – سمير عبده – دار علاء الدين للنشر والتوزيع – سوريا.

-السريانية نحوها وصرفها – د.زاكية محمد رشدي – دار الثقافة للطباعة والنشر- ط٢ – القاهرة ١٩٧٨م.

-الظواهر الصوتية بين العربية والعبرية (أطروحة دكتوراه)- وسام محمد خلف – كلية التربية الجامعة المستنصرية ٢٠٢٢م.

-فن النحو بين اليونانية والسريانية – ترجمة ودراسة لكتابي ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازي – ترجمة: ماجدة محمد أنور- المجلس الأعلى للثقافة – العدد ٢٩٧ مصر.

-قاموس يعقوب أوجين منا قاموس كلداني_عربي- منشورات مركز بابل – بيروت ١٩٧٥م.

-قواعد اللغة الأكدية – د.فوزي رشيد - دار صفحات للدراسات والنشر- ط١- دمشق٢٠٠٩م.

-قواعد اللغة السريانية – طيمثاوس أرميا مقدسي – نقله إلى العربية كوثر نجيب عبد الأحد – مطبعة ميديا – ط٣ – أربيل ٢٠١١م.

-قواعد اللغة السريانية الصرف – يوحنا يشوع الخوري – منشورات الرسل – جونية ١٩٩٤م.

-قواعد اللغة السومرية – د.فوزي رشيد – دار صفحات للدراسات والنشر- ط١- دمشق٢٠٠٩م.

-اللسان الأكادي – د.عيد مرعي – منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق ٢٠١٢م.

-اللغات والحضارات الشرقية نظر وتطبيق – تنسيق أحمد شحلان_إدريس اعبيزة – منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط – ط١ – الرباط ٢٠٠٥م.

-اللغة السريانية – منير الشعراوي – مطبعة الداودي – دمشق ١٩٨٢م.

-اللغة العبرية – محمد توفيق الصواف – منشورات جامعة دمشق – دمشق ٢٠٠٤م.

-اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية – يوسف داود الموصلي – طبع دير الآباء الدومنكيين – الموصل ١٨٧٩م.

-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)-تحقيق: علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، الناشر وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر ١٩٦٦م.

-مدخل إلى النحو العبري – فؤاد سليم أبو زريق – طبع المعهد العسكري للغات الأجنبية – سوريا ١٩٩٤م.

-مرشد الطلبة السريانيين إلى كلتا لهجتي الغربيين والشرقيين – بطرس سابا السرياني العراقي – المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٤٨م.

-معاني النحو – د.فاضل السامرائي – دار الفكر للطباعة والنشر- ط٢ – عمّان٢٠٠٣م.

-معجم الحضارات السامية – هنري س.عبودي – جروس برس لبنان – ط٢ – طرابلس لبنان ١٩٩١م.

-مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – طه باقر- دار الوراق للنشر- ط١ – بغداد ٢٠٠٩م.

-مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (حضارة وادي النيل)- طه باقر- دار الوراق للنشر- ط١ – بغداد ٢٠١١م.

-المناهج في النحو والمعاني عند السريان – جبرائيل القرداحي – دار المكتبة السريانية – ط٣ – حلب ٢٠٠٨م.

-موسوعة أناجيل العهد الجديد – أ.د. ستار عبد الحسين جبار الفتلاوي – منشورات مركز جبرائيل دنبو الثقافي – ط١ – أربيل ٢٠٢٣م.

-النكهة البهية في قواعد ونحو اللغة السريانية – جوزيف أسمر ملكي – مطبعة اليمامة – حمص ٢٠٠٢م.